تجليّات مكة ومكانتها الدينية والحضارية في كتب الأمثال

د. علي عبده أحمد الزبير□

كلية التربية / جامعة عدن□

الملخص

سعى هذا البحث إلى الكشف عن تجليات (مكة) –جغرافياً وتاريخياً– ومكانتها الدينية والحضارية في (كتب الأمثال)؛ وذلك عن طريق العودة إلى الكتب، والبحث عن كل مَثَلٍ أو معلومة تاريخية تتعلق بـ(مكة) ومجتمعها، وطبيعتها، ومكانتها الدينية والحضارية، فكانت الحصيلة عشرات الأمثال، تتفاوت في قوة الدلالة على جانب من جوانب مجتمع مكة، وفي كون الدلالة مباشرة أو غير مباشرة، وكذا في ورود هذه الدلالة في تراكيب الأمثال أو في مناسبتها وشرحها.

وبالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، مع الإفادة من المنهج التاريخي، وتبعاً لمضامين الأمثال المحصاة وشروحها، جرى توزيع البحث على ثلاثة مباحث: اختص المبحث الأول بالوقوف على الأمثال التي تجلّت فيها (مكة)، أما عن طريق طبيعتها الجغرافيا ومناطقها، أو عن طريق الإشارة إلى الوقائع التاريخية التي جرت على أرضها أو شاركت فيها قبائلها أو أسرها، واهتم المبحث الثاني بتحليل الأمثال التي تضمنتْ –بصورة مباشرة أو غير مباشرة– الدلالة على مكانة مكة الدينية، وسعى المبحث الثالث إلى تحليل الأمثال التي اشتملت على إشارات إلى مكانة مكة الحضارية؛ كتفنّن بعض أهلها في مطاعمهم ومشاربهم وزينتهم، وشيوع مجالس اللهو والغناء فيها.

الكلمات المفتاحية: تجليات، مكة، كتب الأمثال.

The manifestations of Mecca and its religious and cultural status in the books of proverbs

Dr. Ali Abdo Ahmed Azzubair

College of Education / University of Aden

Abstract

This research sought to reveal the manifestations of Makkah - geography and history - and its religious and cultural status in the books of proverbs; by returning to the books and searching for all historical information related to Mecca and its society, nature, The result was dozens of proverbs, which vary in the strength of the signification on one side of the society of Makkah, and in the fact that the significance is direct or indirect, as well as in the receipt of this significance in the structures of the proverbs or in the occasion and explanation.

Based on the analytical descriptive approach, taking advantage of the historical approach, and according to the contents of the proverbs and their explanations, the research was divided into three sections: The first section deals with the proverbs revealed by Makkah, either by its nature, geography or its regions, The historical facts that took place on its territory or the participation of its tribes or families. The second section deals with the analysis of the proverbs that included - directly or indirectly - the significance of Mecca's religious status. The third section sought to analyze the proverbs, which included references to the status of Mecca civilization, such as burying some of their people in their comestible, drinking, adornment, and the prevalence of councils of love and singing.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فأعترف بأني كثيراً ما أنهى طلابي عن جعل الرغبة الذاتية والعاطفة إزاء الشاعر أو شعره مسوّغاً أساسياً في اختيار موضوع البحث؛ وأشدّد عليهم في جعل المسوغات موضوعية وعلمية، بعيداً عن الحب والرغبة؛ ولكني أجوّز لنفسي هنا في جعل العاطفة (الدينية) واحدةً من مسوّغات اندفاعي لكتابة هذا البحث، ففضلاً عن كون البحث في موضوع يتصل بمكة معناه البحث في الجذور التاريخية للحضارة الإنسانية، والهوية الدينية، فهو ينبني –في الوقت نفسه– على أرضية صلبة من الحب الصادق لمكة ومشاعرها المقدّسة، واحتساب الكتابة عنها قربة إلى الله، نرجو ألاّ نُحرمَ أجرَها وثوابَها.

أما اختيار (كتب الأمثال) فقد تأسس على ثقافة متواضعة في هذا المجال الأدبي، تراكمت على مدى سنوات من القراءة وجمع المصادر والدراسات المتعلقة بالأمثال، فكانت العودة إلى كتب الأمثال هذه المرة محددة بالبحث عن كل مثل أو معلومة تاريخية تتعلق بـ(مكة) ومجتمعها، وطبيعتها، ومكانتها الدينية والحضارية، فكانت الحصيلة عشرات الأمثال، تتفاوت في قوة الدلالة على جانب من جوانب مجتمع مكة، وفي كون الدلالة مباشرة أو غير مباشرة، وكذا في ورود هذه الدلالة في تراكيب الأمثال أو في مناسبتها وشرحها.

وبعد فرز الأمثال المحصاة، والنظر في مضموناتها وشروحها، ارتأيت أن تُدرسَ في ثلاثة مباحث:

- اختص المبحث الأول بالوقوف على الأمثال التي تجلّت فيها (مكة)؛ إما عن طريق طبيعتها الجغرافيا ومناطقها، أو عن طريق الإشارة إلى الوقائع التاريخية التي جرت على أرضها أو شاركت فيها قبائلها أو أسرها.
- واختص المبحث الثاني بتحليل الأمثال التي تضمنتْ –بصورة مباشرة أو غير مباشرة– الدلالة على مكانة مكة الدينية.
- واختص المبحث الثالث بتحليل الأمثال التي اشتملت على إشارات إلى مكانة مكة الحضارية.

وقد كان الاعتماد في دراسة الأمثال في المباحث الثلاثة على المنهج الوصفي التحليلي، مع الإفادة من المنهج التاريخي في تتبع بعض المسائل التاريخية، وفي ترتيب هوامش البحث على وفق وفيات مؤلفيها، وقد حرصتُ على ذكر سنة الوفاة عند ذكر المعلومات التوثيقية للمصدر، عند المرة الأولى لاستعماله.

غير أن الوصف كان طاغياً، ولم يكن التحليل متعمقاً في بعض فقرات المبحث الأول، نظراً لكون الأمثال متضمنة إشارات جغرافية وتاريخية مباشرة، مكتفياً، في بعض الأحيان، بتعليق جامع لعدد من الأمثال ذات الدلالات المتشابهة.

وبعدُ، فعلى الرغم من ضيق الوقت، والانشغالات الوظيفية، والعوائق الاجتماعية المختلفة، التي رافقت إعداد هذا البحث، فقد حرص الباحث على أن يكون عمله محيطاً بالفكرة الجوهرية التي يعالجها، وقائماً على وفق الشروط الأكاديمية للبحوث، فإن تحقّق ذلك في بحثه فبتوفيقٍ من الله وحده، وإنْ ظهر فيه نقصٌ أو قصورٌ فمن طبيعته البشرية المفطورة على النقص والتقصير، والحمد لله أولاً وآخراً!.

توطئة

لماذا مكة؟ ولماذا الأمثال؟

إن مما لا شك فيه أن الكتابة عن (مكة) تُعد نوعاً من البحث في الهوية الإسلامية؛ ذلك أنّ (مكة) واحدٌ من أعظم رموز الدين الإسلامي الحنيف، تحتل مكانة مقدسة في نفوس المسلمين في كل مكان على البسيطة؛ فقد فضّلها الله –عزّ وجلّ– وشرّفها على كل بقاع الأرض؛ بأنْ جعل فيها بيته العتيق (الكعبة)، وبأن جعلها منطلق خاتمة أديانه السماوية، وموطن خاتم أنبيائه، وقبلة المسلمين، ومهوَى أفئدتهم، وغير ذلك من الفضائل والمناقب التي لا تدانيها فيها أية بقعة في الأرض.

بل نجد في بعض المصادر التاريخية "أن أول ما خلق الله –عز وجل– في الأرض مكان الكعبة، ثم دحا الأرض من تحتها فهي سرّة الأرض ووسط الدنيا وأمّ القرى أوّلها الكعبة وبكة، وحول بكة مكة، وحول مكة الحَرَم، وحول الحَرَم الدُّنيا"[١]، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن بناء البيت الحرام يعود إلى زمن آدم –عليه السلام– الذي أمره الله تعالى ببناء بيت في الأرض ليطوف به ويذكر الله عنده كما يفعل الملائكة في طوافهم حول العرش، فجابَ الأرضَ حتى انتهى إلى مكة فبنى فيها البيت الحرام[٢].

وإذا ذهبنا إلى كتب الرحّالة الجغرافيين سنجد ابن جبير يفيض في الحديث عن طبيعة (مكة) وعظمتها ومشاعرها المقدسة، وعما اختصها الله –تعالى– به من الفضائل، والثمرات، والمتاجر، والذخائر النفيسة، والأمتعة، والأرزاق، والفواكه، وسائر الطيبات(٣).

وكذلك فعل (ابن بطوطة) فتحدّث عن فضائلها، وطبيعتها الجغرافية، والمشاعر الدينية فيها، إلى أن يصل به الحديث إلى أهلها فيشيد بجميل أفعالهم، ومكارمهم التامة، وأخلاقهم الحسنة، وإيثارهم الضعفاء والمنقطعين والمجاورين البيت الحرام، وغير ذلك من الفضائل والمناقب(٤).

وفي المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية ما لا يتسع لذكره المقام من فضائل (مكة) ومشاعرها المقدسة وأهلها، وهو ما يجعل الكتابةَ عنها، من أية زاوية، نوعاً من التواصل مع جذور الحضارة الإنسانية، والهُوية الإسلامية، فضلاً عن أن الكتابة عنها طريق من طرق التقرب إلى الله تعالى.

أما عن سبب اختيار **كتب الأمثال**؛ فلأنّ الأمثال تعدّ خلاصة تجارب الشعوب، تتجلى فيها "نظراتها إلى الحياة، ومذاهبها في الأخلاق الفردية والعلاقات الاجتماعية، كما أنها تكشف عن جوانب شتى من حياتها اليومية"(٥).

ونظراً لطبيعة المثل اللغوية والتركيبية، وإيجازه الشديد، فإنه يأتي مشحوناً بدلالة عميقة على التجربة التي أفرزته، فضلاً عن أن بنيته الموجزة تجعل منه نصاً عابراً للأزمنة والعصور، وفي منأى عما يصيب النص المنقول –غالباً– من العهد الشفاهي إلى عصر التدوين، من تضارب الروايات والسقط والاختلالات، وما شابه ذلك مما يُبعد النصوص كثيراً عن صيغتها الأصلية.

ومن هنا قد يكون المَثَل، الذي يرمز إلى جانب من مجريات الحياة اليومية في (مكة)، أكثر صدقاً وموثوقيةَ من خطبةٍ أو قصةٍ أو ما شابههما من النتاجات الفكرية التي قد يصيبها الخلط والاختلال في رحلتها الشفوية، وأوضحُ دليل على ذلك أننا نجد الرواة قلَّما يغيّرون في صيغة المثل تغييراً يبعده عن دلالته الأصلية، ولكنهم كثيراً ما يختلفون في سرد الحوادث الأولى التي قيلت فيها الأمثال، وقد يتجاوز اختلافهم في تفاصيل الحادثة، إلى ذكر حوادث

مختلفة في تفاصيلها وشخوصها وزمانها، وربما عجزت الرواية الشفوية عن نقل تفاصيل الحادثة، فتروي المثل عارياً من أية إشارة تاريخية إلى قائله وزمنه.

فضلاً عن كل ذلك؛ فإن الأمثال –كما يرى بعض الدارسين– "نتاج القريحة العفوية للمجتمع العربي، وبالتالي (الوثيقة التاريخية) الأقرب إلى تجسيد الشخصية الأدبية العربية من سواها من النتاجات الأخرى"(٦).

المبحث الاول: تجليات مكة في كتب الأمثال

إن المتتبع للأمثال ذات الصلة بـ(مكة) في كتب الأمثال، لن يقف إلا على عدد محدود من الأمثال التي تضمّنتْ ذكراً صريحاً لاسم مكة؛ غير أنه سيقف على عشرات الأمثال التي تتصل بطبيعة مكة الجغرافية، وأسماء المواضع والوديان والجبال الواقعة في محيطها، وبعض الوقائع التاريخية التي دارت على أرضها أو اتصلت بقبائلها، فضلاً عن الأمثال التي تعكس صوراً مختلفة من أوجه نشاط سكانها في أزمنة مختلفة.

وفي أكثر هذه الأمثال تتجلى، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، المكانة التي تحتلها (مكة) في الوعي الجمعي العربي، في الجاهلية والإسلام.

ونكتفي في هذا المبحث بالوقوف على طائفة مختارة من الأمثال، تجلّت فيها (مكة) عن طريق ذكرها الصريح، أو عن طريق الإشارة إلى طبيعتها الجغرافية، والوقائع التاريخية والصراعات المتصلة بها.

أولاً: ما يتعلق بتكوين مكة الجغرافي

اشتملت كتب الأمثال على طائفة من الأمثال التي تتصل بالطبيعة الجغرافية لـ(مكة)، وبعدد من مسميات قراها وجبالها، ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إنه لم يشعْ من الأمثال القديمة الفصيحة على ألسنة العامة والخاصة من الناس، قديماً وحديثاً، كما شاع المثل الذي ذكره صاحب (زهر الأكم)، وهو قولهم: **(أَهْلُ مَكَّةَ أَعْرَفُ بِشِعَابِهَا)**، وذكر أنه "يُضرب للمباشر الشيءَ والمُخالط له أنه أخبر به وأبصر بحاله وأعرف"(٧).

والحق أني عندما وقفتُ على هذا المثل قفز إلى ذهني سؤال: لماذا مكة وأهلها تحديداً؟ لماذا لم يقولوا –مثلاً–: أهل صنعاء...، أو أهل يثرب...، أو أهل أي حاضرة أخرى؟.. وقد كان هذا السؤال كفيلاً بدفعي إلى اللجوء إلى بعض المصادر التاريخية والجغرافية التي أرّختْ

لـ(مكة) وتوقفت عند طبيعتها الجغرافية، فتبددت الحيرة التي أفرزت السؤال السابق، حين وجدت تلك المصادر تشير إلى تفرد (مكة) بطبيعة جغرافية خاصة، تتمثل في وقوعها بين عدد من الجبال، يتخللها عدد كبير من الشعاب والثنايا والفجاج[٨]، وهو ما يبرهن على أن المثل المذكور لم يُقلْ اعتباطاً، وإنما كان قائلُه يتكئ على معرفة دقيقة بطبيعة الحاضرة التي يتضمنها المثل، ولعل هذا السند التاريخي والجغرافي يفسر جانباً من سر سيرورة المثل من أعماق التاريخ إلى الزمن الحاضر.

غير أن ثمة سؤالاً آخر يتصل بهذا المثل، وهو: مَنْ قائله؟ والإجابة التي توصلنا إليها هي أنه لا يُعرف قائل معين لهذا المثل، ولكن صيغته توحي بأن قائله لا ينبغي أن يكون من أهل مكة؛ أي أن قائله شخص وافد على مكة، وإذا صح ذلك، فإنه يؤكد أمرين:

أولهما: التركيبة المعقدة لطبيعة مكة الجغرافية، إلى درجة أنه ليس من السهل على الطارئ عليها أن يكتشف طرقها وشعابها، فلا يجد مناصاً من أن يُقرّ بعجزه عن استيعاب هذه التركيبة الطبيعية المعقدة.

وثانيهما: الدلالة على كون (مكة) مزاراً مألوفاً، لا ينقطع عنه الوافدون من كل القبائل والأجناس، في الجاهلية والإسلام، وهذا أمر أوضح مما يحتاج الاستدلال عليه من كتب التاريخ.

ومن الأمثال المتعلقة بجغرافية مكة ما ذكره الميداني من قولهم: **(تَرَكْتُهُمْ كَمَقَصِّ قَرْنٍ)**[٩]، يُضرب لمن يُسْتأصل ويُصْطَلم. وقد أورد لكلمة (قرن) تفسيرين: أولهما: أن المقصود بها أحد قَرْنَي الحيوان، فقال: "أي استأصلتهم وذلك أن أحد القرنين إذا تم وقُطع الآخر رأيته قبيحا"، والآخر: أنه جَبَلٌ مُطِل على عرفات.

وإذا ذهبنا إلى (معجم البلدان) سنجد ياقوت الحموي يؤكد كون (قرن) جبلاً مطلاً على عرفات[١٠]، ثم يضيف في موضع آخر أن قرناً "جبلٌ صعبٌ أملس ليس فيه أثر ولا مقص"[١١] أي (لا مقص للأثر).

ولعل هذا المعنى الأخير الذي يورده ياقوت لكلمة (قرن) يؤكد احتمالية اتصال المثل بطبيعة مكة وجبلها الموسوم بـ(قرن) أو (مقص قرن)، ويبقى احتمال المعنى الأول، الذي أورده الميداني، قائماً.

ومن ذلك أيضاً ما أورده الميداني، وهو قولهم: **(هَيْهَاتَ مِنْكَ قُعَيْقِعَانُ)**[١٢] قال: "هذا الجبل بمكة، وبالأَهواز أيضاً جبلٌ يُقَال له قعيقعان، قلت: ولاَ أدري أيهما المعنى في المثل، يضرب في اليأس من نيْل ما تريد".

قال الفاكهي: "وَإِنَّمَا سُمِّيَ قُعَيْقِعَانَ لِتَقَعْقُعِ السِّلَاحِ فِيهِ"[١٣]

ومن الأمثال التي يذكرها الميداني قولهم: **(أَنَا ابْنُ كُدَيِّهَا وكَدَائِهَا)**[١٤] ، معقبًا على ذلك بقوله: "وكُدَى وكَدَاء: جبلان بمكة والهاء راجعة إلى مكة أو إلى الأرض، وهذا مثل يضربه مَنْ أراد الافتخار على غيره".

إن المتأمل في الوظيفة الدلالية للأعلام المتصلة بطبيعة (مكة) في الأمثال السابقة، سيجد أنها –أو غالبيتها– تتجه نحو تكريس دلالات التعقيد والصعوبة والمشقة، وهي مسألة تعكس وعي قائلي تلك الأمثال بطبيعة (مكة) المعقدة والوعرة، التي وصفها الله تعالى بقوله على لسان الخليل إبراهيم –عليه السلام–: **{رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ}** (إبراهيم: ٣٧).

فضلاً عن أنّ جَعْلَ جبال مكة وشعابها ومناطقها مضارب للأمثال، يدل على كون (مكة) مزاراً مألوفًا للناس منذ أعماق التاريخ، يعرفون كثيراً من خصائصها الطبيعية، وتتوافق أفهامهم على تفرد طبيعتها بما لا يجدونه في مناطق أخرى، ولا شكّ أن هذه المعرفة تحققت بسبب مكانة (مكة) الروحية والدينية، واعتياد الناس على زيارتها في كل موسم للتعبّد والتقرب من معبوداتهم.

ثانيًا: ما يتعلق بالوقائع والصراعات

مثلما رأينا كيف اتصل عددٌ من الأمثال بطبيعة (مكة) الجغرافية، سنجد أنّ كتبَ الأمثال اشتملت كذلك على أمثال ومعلومات تتعلق بأحداث تاريخية دارت رحاها على أرض مكة، أو شارك فيها بعض رجالها أو قبائلها أو أسرها، في الجاهلية والإسلام، سنستعرض نماذج منها في هذه الجزئية من البحث، بإيجاز وبطريقة وصفية.

ومن هذه الأمثال قولهم: **(أَفتَكُ من البَرّاض)**[١٥] ، وهو البرّاض بن قيس الكناني، وخلاصة قصته من كتب الأمثال التي أوردت المثل، أنّ أهله نَفَوهُ لخلاعته وكثرة جناياته، فحالف حرب بن أمية، ثم قَدِمَ على النعمان بن المنذر في الحيرة، وسأله أن يجعله على

لطيمة[١٦] يريد أن يبعث بها إلى عكاظ، فلم يلتفت إليه النعمان، وجعل أمرها إلى عروة الرحّال الكلابي[١٧]، فكان ذلك حريًّا بأن يُغضبَ البراضَ، فانتظر عروةَ في بعض الطريق، ففتك به، فقامت بسبب ذلك حرب الفجار بين حي خندف وقيس، قال الميداني: "فهذه فتكة البراض التي بها المثل سار"[١٨].

ومن الأمثال المتصلة بهذا الباب قولهم: **(لا في العِيْرِ ولا في النَّفِيْرِ)**[١٩] ، وأول من قاله أبو سفيان بن حرب[٢٠]، وتسرد الكتب التي أوردت المثل قصة أبي سفيان وتجارته، وكيف استطاع أن يجنّبَ عِيرَهُ وتجارته من الوقوع في يد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وصحابته –رضوان الله عنهم– في الأيام التي سبقت موقعة بدر؛ وذلك في شهر رمضان سنة ثنتين من الهجرة[٢١]، وكان أبو سفيان قد أخبر قومه بأنه صار وتجارته في الأمان، "فأبى أبو جهل وقال: والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر، ونقيم عليها ثلاثاً، فتهابنا العرب أبداً. ورجع الأخنس بن شريق الثقفي بجميع بني زهرة، فلم يشهد بدراً أحدٌ منهم، وكان حليفهم ومطاعاً فيهم، فقال: إنما خرجتم تمنعون أموالكم وقد نجت"[٢٢]، فصادف أبو سفيان بني زُهرة منصرفين إلى مكة، فقال: يا بني زهرةَ، لا في العير ولا في النفير، فأرسلها مثلاً يضربه الناس للرجل يُحطُّ أمرُه ويُصغّرُ قدرُه. ويريدون بالعير عير أبي سفيان، وبالنفير الذين نفروا إلى قتال المسلمين.

ومن هذه الأمثال قولهم: **(بِضَرْبِ خَبَّابٍ وريشِ المُقْعَدِ)**[٢٣]، وخبّاب: قَيْنٌ بمكةَ كان يضرب السيوف؛ والمُقْعَد كان يريش السهام. وقد ذكر أن الزبير وعثمان –رضي الله عنهما– تكالما، فقال الزبير: إن شئت تقاذفنا، قال: أبالبعر، يا أبا عبد الله؟ فقال الزبير: بل بضرب خباب وريش المقعد، أي نتقاذف بالسيف والسهام. ومعنى التَّقاذُف الترامي، أي نترامى بما يترامى به الناس جِدًّا لا هزْلاً.

فيظهر أن الزبير –رضي الله عنه– أول من تلفّظ بهذا القول الذي صار مثلاً، ولكن ما يهمنا أكثر من هذا المثل هو أن صناعة السلاح كانت إحدى صور النشاط الاجتماعي لأهل مكة، وفي ذلك دلالة على أن (مكة)، على الرغم من مكانتها الدينية والحضارية منذ أعماق التاريخ وبعد ظهور الإسلام –كما سيبينها المبحثان القادمان– لم يكن مجتمعها بعيداً عن الحروب والقتال.

ومن الأمثال الموحية بالصراع والحروب ما ذكرناه سابقاً، وهو قولهم:(**هَيْهَاتَ مِنْكَ قُعيقْعِانُ**)[٢٤]، وقد مر بنا أن هناك من يرجع تسميته (قُعَيْقِعَانَ) إلى تَقَعْقُعِ السِّلَاحِ فِيهِ[٢٥]، وهو ما يشير إلى قِدَم الحروب والصراعات وكثرتها في مكة وما يحيط بها من البوادي والأحياء العربية.

ويدخل في هذا الباب المثل الجاهلي المشهور: (**بَيْنَهُمْ عِطْرُ مَنْشِمَ**)[٢٦]، أو (**دقوا بَيْنَهُمْ عِطْرُ مَنْشِمَ**)[٢٧]، أو(**أشأم من عِطْرُ مَنْشِمَ**)[٢٨]، أو (**أشأم من منشم**)[٢٩]، وقد يقال اختصاراً: (**عِطْرُ مَنْشِمَ**)[٣٠].

ومهما يكن من تعدد صيغ هذا المثل، فإنه يُضرب للشر العظيم، فضلاً عن أن (منشم) –شاهِدنا من المثل– مذكورة في صيغه المختلفة، ومنشم –في بعض تأويلات المثل– "اسمُ امرأةٍ عطَّارة كانت بمكة وكانت خُزَاعة وجُرْهم إذا أرادوا القتالَ تطيَّبُوا من طيبها وإذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم فكان يقال: أشْأَمُ مِنْ عِطْرِ مَنْشِمَ"[٣١]. ولعلَ الشاعر زهير بن ابي سلمى أبرز من وظف هذا المثل في قوله في معلقته مخاطباً الحارث بن عوف وهرم بن سنان[٣٢]:

تَدارَكْتُما عَبْساً وذُبْيانَ بَعْدَما تَفانَوْا ودَقُّوا بَيْنَهم عِطْرَ مَنشِمِ

وللمثل تأويلات أخرى، وقد يرد التأويل السابق نفسه من دون أن ينسب (منشم) إلى مكة، أو إلى أي حي بعينه.

ومهما يكن، فإن الأمثال السابقة استطاعت أن تقدّم صورة واضحة لعلاقة (مكة) بالصراع الذي كان يسود حياة العرب في الجاهلية، ومما يدل على ذلك –أيضاً– أن الميداني أفرد في كتابه باباً خاصاً، سرد فيه عدداً كبيراً من أيام العرب ووقائعها الحربية في الجاهلية والإسلام، منها ما كان متصلاً بـ(مكة)، أو ببعض المواضع المحاذية لها، أو كانت قبائلها وأُسَرها طرفاً فيها[٣٣]، وفي ذلك دلالة واضحة على عدم بُعد مجتمع مكة عما يجري في الجزيرة العربية من الوقائع والحروب، على الرغم مما حققه من مظاهر الحضارة والاستقرار.

المبحث الثاني : مكانة مكة الدينية

إن المكانة الروحية والدينية التي تحتلها (مكة) في نفوس العرب الجاهليين والمسلمين، مسألةٌ أشهر مما تحتاج إلى التنويه بها، أو إلى الاستدلال عليها من كتب التاريخ؛ وحسبنا، في

هذا المبحث الموجز، أن نتلمّس عظمةَ (مكة) ومكانتها الدينية والروحية، المتجلِّية، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، في كتب الأمثال العربية وشروحها.

ومن هذه الأمثال، قولهم: **(آلَفُ مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ)**[٣٤] ، و**(آمَنُ مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ)**[٣٥] ، و**(آمَنُ من ظَبْيِ الحَرَمِ)**[٣٦] ، و **(آمَنُ من ظَبْيٍ بِالحَرَمِ)**[٣٧] ، فهذه الأمثال الأربعة، ليست سوى صيغ لغوية مختلفة لفكرة واحدة، تصور ما يحظى به الحيوان والطير في مكة من الأمن، والألفة مع ساكن مكة وزائرها، وفي ذلك تتجلّى قداسة (مكة) ومكانتها العظيمة في النفوس؛ ففي حين تعيش المخلوقات الحية، بما فيها الإنسان، في البوادي والجبال والقرى –غير مكة– مترقبةً الموتَ الذي قد يحل بها في أية لحظة، تعيش الطيور والظباء منعّمة آمنة في البلد الحرام.

ومما عبّرتْ عنه ألسنُ الشعراء في ذلك قول عمرو بن الحارث الجرهمي[٣٨] من قصيدة، عندما نَفَتْ خزاعة قومه (جرهم) من مكة، وأخرجتهم إلى اليمن[٣٩]:

فسحَّتْ دموعُ العينِ تَبكي لبلدةٍ بها حرمٌ أمنٌ وفيها المشاعرُ
وتبكي لبيتٍ ليس يـؤذى حمامُهُ يظـلُّ به أمناً وفيــه العصافـرُ
وفيــه وحــوشٌ لا تــُرامُ أنيسةٌ إذا خــرجت منه فليست تغادرُ

ومن الأمثال الدالة على عظمة مكة وكعبتها المشرّفة قولهم: **(كَعْبَةُ اللهِ لاتُكْسَى لِإعْواز)**[٤٠]، وهو مَثَلٌ يتطرّق إلى مسألة كساء الكعبة، التي أفاضتْ كتبُ التاريخ في الحديث عنها، وعن أول مَن كساها على الإطلاق، وأول مَن كساها في الإسلام، ومَن الذين كسوها من الصحابة والتابعين وتابع التابعين، وما هي ألوانُ الأكسية، وارتباط بعض ألوان الكساء بمناسبات معينة، وما إلى ذلك من المعلومات التاريخية المفصّلة[٤١].

غير أن المثلَ يتطرَّقُ إلى كساء الكعبة بوصفه رمزاً للعظمة والإجلال؛ فإذا كان الإنسانُ يكتسي لستر العَورة، أو طلباً للدفء، أو زينةً للتفاخر والخيلاء، أو ما شابه ذلك من الحاجات المادية والمعنوية؛ فإن الكعبة (لا تُكسي) لأي أمرٍ من تلك الأمور، ولكنها (تُكسي) تعظيماً لها، وتقرُّباً إلى الله تعالى.

ومن هنا نجد العرب، إذا أرادوا أنْ يعظّموا لباسَ رجلٍ، ضربوا له مثلاً بكساء الكعبة، فقالوا: **(فلانٌ أَكْسَى مِنَ الكَعْبَةِ)**[٤٢].

ومن الأمثال المتعلقة بالكعبة قولهم: **(لَمْ أهدِمْ بِناءَ الكَعْبَةِ)**[٤٣] ، وهو مثل يضربه من أراد أن يهوّن من جرمه؛ دالًّا بذلك على أن العربَ لم يكونوا يرون جُرماً يفوق جُرمَ هدم الكعبة، وهو ما يعكس المكانة العظيمة التي تحتلها الكعبة في نفوسهم.

ومما يدل على تعظيم العرب الكعبةَ قولهم: **(كَالكَعْبَةِ تُزَارُ وَلاَ تَزورُ)**[٤٤]، يضربون ذلك للرجل عظيم المنزلة، الذي يُؤْتَى ولا يَأْتِي.

وقد لا ترد الإشارة إلى مكانة مكة الدينية في تركيب المثل، ولكنها ترد في قصته أو مناسبته، ومن ذلك قولهم: **(خُذْهُ وَلَوْ بِقُرْطَيْ مَارِيَةَ)**[٤٥]، وقولهم:**(أنْفسُ من قُرْطَيْ مَارِيَةَ)**[٤٦]، فيضربون بالأول للرجل يُقال له: لا يفوتنّك الأمر، وبالآخر لنفاسة الشيء، والقُرْط: ما يُعلّق في شحمة الأذن من الحلي، والجمع أَقْراط وقِراط وقُروط وقِرَطة[٤٧].

أما مارية المذكورة في المثلين فهي مارية بنت ظالم بن وهب الكندي أمُّ الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر الغساني ملك الشام[٤٨]، يقال: إنها أهدت إلى الكعبة قُرطيها وعليهما درّتان كبيضتَي الحمام، لم ير الناس مثلهما، ولم يدروا ما قيمتهما[٤٩]. وإياها يعني حسان بن ثابت – رضي الله عنه– في قوله[٥٠]:

أولاد جفنـةَ حولَ قبر أبيهمُ قبر ابن ماريةَ الكريم المفضلِ

وقد يكون في إهداء هذين القُرطَين الثمينين، إلى الكعبة –كما يرى بعض الدارسين– دلالة على تعظيم الكعبة[٥١]، ولكنّ ثمة دلالةً أخرى في هذا الأمر لم يُلتفَتْ إليها، وهي أن (قُرْطَيْ مَارِيَةَ) لا ترجع شهرتهما إلى ثمنهما الباهض، بقدر رجوعها إلى كونها أُهْدِيا إلى الكعبة؛ أي أنّ هذين القُرطين كان يمكن أن يضيع ذكرهما كما ضاع ذكر سواهما من ممتلكات الملوك والأباطرة منذ أعماق التاريخ، ولكن ارتباط تاريخهما بـ(الكعبة المشرفة) مَنَحَهما، فضلاً عن بُعد ارتفاع الثمن، بُعداً روحياً ودينياً، عزّز خلودهما في الذاكرة الجمعية.

ومن هذه الأمثال قولهم: **(تَرَكْتُهُ تُغَنِّيهِ الْجَرَادَتَانِ)**[٥٢] ، و**(ظَلَّتِ اليَوْمَ تُلْهِيكَ الْجَرَادَتَانِ)**[٥٣]، فيضربونهما لمن كان لاهياً في نعمة وسرور ولهو.

والجردتان المذكورتان في المثلين السابقين، هما قَينتا معاوية بن بكر زعيم العماليق، الذين كانوا يسكنون مكة، وفي معظم كتب الأمثال، يرد ذكر الجرادتين مرتبطاً بقصة طويلة نسبياً، خلاصتها أن عاداً لما كذّبوا نبيهم هوداً – عليه السلام – أصابتهم سنوات قحط، فاختاروا

من قومهم سبعين رجلاً، ورأّسوا عليهم قَيل بن عنّز، وبعثوهم إلى مكة ليستسقوا لهم، فنزلوا على سيد مكة معاوية بن بكر، فأقاموا عنده شهراً يكرمهم، وفي بعض الروايات أقاموا حوْلاً، والجرادتان تغنياهم، فنسوا قومهم، فلم يستطع معاوية تذكيرهم بالأمر خوف أن يظنوا به بُخلاً، فألمح بذلك في شعر صنعه وألقاه إلى الجرادتين، فغنتاه، فثابوا إلى رشدهم، فقاموا فدعوا الله واستسقوه. ومما جاء في ذلك الشعر قوله[٥٤]:

ألا يا قَيْـلُ وَيْحَـكَ قـم فَهَيْنِـمْ لعــلَّ الله يَبْعَثُهــا غَمَامــا
فَيَسْقِـيَ أرضَ عــادٍ إنَّ عــادا قَـدَ امْسَوْا لا يُبِينُونَ الكـلاما
من العَطَش الشديدِ فلـيس تَرْجُو لها الشيخَ الكبيرَ ولا الغُلاَما
وأنتــم ههُنــا فيمــا اشتهيتـم نهــارَكُمُ وليلكـــم التمامــا
فقُبــح وَفْدُكــم مــن وفــد قــومٍ ولا لُقُّــوا التحيــةَ والسلامــا

ولشهرة هذه الحادثة، ارتبط ذكر هاتين المغنيتين بمواقف اللهو والسرور التي تشغل صاحبها عن الأمور الواجب القيام بها، وقد يُضرب المثل بهما في الاشتهار بأي أمر، أو الاشتهار بالغناء تحديداً، فيقولون: **(صَارَ حَدِيْثَ الجَرادَتَيْنِ)**[٥٥] و**(أَلْحَنُ من الجَرادَتَيْنِ)**[٥٦].

ومن الأمثال التي ارتبطت بالحادثة نفسها قولهم: **(السَّعِيدُ مَن وُعِظَ بِغَيرِهِ)**[٥٧] ؛ قال الزمخشري: "يضرب في وجوب الاعتبار"[٥٨]، وقد شرحه الميداني بقوله: "أي ذو الجد من اعتبر بما لحق غيره من المكروه فيجتنب الوقوع في مثله. قيل إن أول من قال ذلك مرثد بن سعد، أحد وفد عاد الذين بعثوا إلى مكة يستقون لهم، فلما رأى ما في السحابة التي رفعت لهم في البحر من العذاب أسلم مرثد وكتم أصحابه إسلامه، ثم أقبل عليهم فقال: ما لكم حيارى كأنكم سكارى إن السعيد من وعظ بغيره ومن لم يعتبر الذي بنفسه يلقى نكال غيره. فذهبت من قوله أمثالاً"[٥٩]

غير أنّ ما يهمنا من ذكر هذه الأمثال هنا هو أن في الحادثة التي ارتبطت بها ما يدل على رمزية (مكة) ومكانتها الدينية والروحية عند العرب منذ الجاهلية؛ تمثّل ذلك في إرسالهم الوفود إليها للاستسقاء، "وكانت العرب إذا أصابها جَهْدٌ جاءت إلى بيت الله تبارك وتعالى فسألت الله فُيعطيهم الله جل وعزّ مسألتهم إلا أن يسألوا فساداً"[٦٠].

ولا شك أن الأمثال المتعلقة بحج الجاهليين تصبّ، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، في الدلالة على المكانة الدينية لـ(مكة) عند الجاهليين؛ بوصفها مكان عبادتهم، وإن لم يرد بوضوح

ما يدل على التعظيم في صيغة المثل أو قصته، ومن هذه الأمثال قولهم: **(لجّ فحجّ)**[٦١]، و**(تَرَكْتُهُ عَلَى مِثْلِ لَيْلَةِ الصَّدَرَ)**[٦٢]، و**(عَبِيدُ العَصا)**[٦٣]، و**(لَقَيْتُهُ صَكَّةَ عُمَيٍّ)**[٦٤]، وغير ذلك من الأمثال[٦٥]، التي تشير إلى أن الحج إلى (مكة) في مواسم معينة كانت عبادة من عبادات الجاهليين.

المبحث الثالث: مكانة مكة الحضارية

درج المؤرخون على تقسيم الناس في الجاهلية، تبعاً لنمط عيشهم، إلى طبقتين: أهل بدو، وأهل حضر، وربما اصطلحوا عليهم بأهل الوَبَر وأهل المَدَر، فيعنون بالأولى الأعراب الذين يقطنون البوادي، وبالأخرى سكان الحواضر والقرى، وإذا كان أهل الطبقة الأولى "يسكنون الخيام ويقطنون الصحراء، لا همّ لهم إلا الغزو وانتجاع الكلأ"[٦٦]، فإنّ أهل الطبقة الأخرى كانوا "يحاولون المعيشة من الزرع والنخل والماشية والضرب في الأرض في التجارة، وغير ذلك من ضروب الاكتساب"[٦٧].

ولقد كانت (مكة) واحدةً من هذه الحواضر العربية المعروفة منذ الجاهلية، بل كانت "أهم مواضع الحضر في الحجاز على الإطلاق"[٦٨]؛ يدل على ذلك تكنيتها بـ(أم القرى)، وقد جاء في تفسير قوله تعالى: **{وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا}** (الأنعام: ٩٢)، أن الله عز وجل يقول: إنا أنزلنا القرآن "لنخوف به من عذاب الله وبأسه أهل (مكة) ومن حولها من أهل أقطار الأرض كلها"[٦٩].

ولعل ذكر الحاضرة أو القرية كافٍ ليوحي بالاجتماع والاستقرار وما شابههما من المظاهر الأساسية لأي مجتمع متحضّر، وبتحقُّق شرطَي الاجتماع والاستقرار يبدأ الناس بالتدريج في إحداث تعديلات على نمط عيشهم، فتتغير أساليبهم في اللباس والطعام والشراب والسكن، وتنمو في مجتمعاتهم أنماط جديدة من الفنون التي تناسب الحياة المستقرة، وغير ذلك من مظاهر التغيرات والتجديد.

وفي (مكة) يتجلى كثير من مظاهر هذا التقّدم الحضاري قياساً بنمط الحياة البدوية الخشنة الغالب على حياة العرب في بوادي الجزيرة العربية، وسنكتفي في هذا المبحث بالوقوف على عدد من الأمثال الدالة على مكانة (مكة) الحضارية. وفي كتب التاريخ عامة، وكتب تاريخ مكة خاصة، ما يروي عطشَ المستفيد من مظاهر تحضر (مكة).

ومن أمثال العرب الدالة على تحضر مجتمع (مكة) قولهم: **(أَجْمَلُ مِنْ ذِي العِمَامَةِ)**[٧٠]، وتتفق المصادر التي شرحت المثل على أنه من أمثال مكة، وأن ذا العمامة هو سعيد بن العاص بن أمية[٧١]، وكان في الجاهلية إذا لبسَ عمامةً لا يلبس قرشيٌّ عمامةً على لونها، وإذا خرج لم تبقَ امرأةٌ إلا برزت للنظر إليه من جماله... وقيل هي كناية عن السيادة[٧٢]. وكان سعيد بن العاص يكنى أبا أحيحة؛ فقال فيه بعض الشعراء[٧٣]:

أَبُـو أُحَيْحَـةَ مَنْ يَعْتَـمّ عِمّتَهُ يُضْرَبْ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَذَا عَدَدِ

ومهما يكن، فإن (العمامة)، سواءٌ كانت ذات دلالة حقيقية على (الجمال) أو ذات دلالة مجازية على (السيادة)؛ تَحْضُرُ في المثل بوصفها رمزاً لحرص أهل (مكة) على الجمال والتزين، وتفننهم في ملابسهم، وحرصهم على نظافتها، وفي ذلك يتجلى مظهرٌ من مظاهر تحضر المجتمع.

وغير بعيد من اللباس يتجلى التفنن في أدوات الطعام والشراب وطرائق تناولها بوصفه مظهراً آخر من مظاهر تحضر (مكة)، ومن الأمثال المتعلقة بذلك قولهم: **(أَقْرَى مِنْ حَاسِي الذَّهَبِ)**[٧٤] ، و(أقرى) صيغة تفضيل من (القِرَى)، وهو إطعام الضيف، أما (حاسي الذهب) فهو (عبد الله بن جُدعان التيمي[٧٥]، وإنما سمي بذلك لأنه كان يشرب في إناء من الذهب، أو في إناء الذهب[٧٦].

ومن البديهي القول إن اقتناء الذهب واستعماله في الحياة اليومية، يدل على الثراء، غير أنه، في الوقت نفسه، يعكس جانباً من رقي الحس الجمالي لمُستعمِله خاصة، وللمجتمع الذي ينتمي إليه عامة، واتخاذ عبد الله بن جُدعان (إناء الذهب) لشرابه، لا يمنع أن يكون له (إناء ذهبي) آخر لطعامه، كما أنه لا يمنع أنْ يكون لغيره أيضاً شيءٌ من ذلك القبيل، وإنْ لم يشتهرْ بذلك، والأهم من ذلك أنّ مدْحَ فرد من المجتمع بتفرُّده في استعمال (إناء الذهب) في شرابه أو طعامه، يستلزم أن يكون لغيره أوانٍ من معادنَ دون (معدن الذهب)؛ وذلك كافٍ للدلالة على تحضُّر مجتمع (مكة) قياساً بما حولها من المجتمعات البدوية.

ومن شرح المثل السابق يضيف الزمخشري معلومة تاريخية مهمة، وهي أن عبدالله بن جُدعان "وفد على كسرى فأكرم مثواه وأطعمه بين يديه، ثم أمره برفع الحوائج، فقال: جارية تعمل لي ما أكلتُ عند الملك، فأمر له بجارية وألطاف، وانصرف إلى مكة، فاتخذ فالوذاً كثيراً أطعم الناس منه، وهو أول فالوذ عمل ببلاد العرب"[٧٧].

ففي هذا النص، فضلاً عن دلالته على كرم ابن جُدعان ومنزلته الاجتماعية العالية التي أهّلته إلى مجالسة الملوك، ثمة دلالتان تناسبان هذا المقام:

الأولى: تحقيق مكة قَصَب السبق في نقل ألوان جديدة من الأطعمة إلى بلاد العرب.

والأخرى: أن العامل الجوهري في تحضّر مجتمع (مكة) يتمثل في اتصال أهلها بمجتمعات جديدة خارج الجزيرة، وانفتاحهم على صور جديدة من أنماط الحياة، وقد ساعدهم في تحقيق هذا الاتصال عملهم بالتجارة، واشتهارهم بذلك، حتى بلغ الأمر بتُجّار مكة، في بعض المراحل التاريخية، أن احتكروا "التجارة في العربية الغربية، وسيطروا على حركة النقل في الطرق المهمة التي تربط اليمن ببلاد الشام وبالعراق"(٧٨).

وثمة مَثَلٌ آخرُ يتصل بمسألة الطعام، ويجسّد الهُوّةَ العميقة بين مجتمع مكة المتحضّر ومجتمع البادية، في طريقة تناول الطعام أو نوعيته، والمثل هو قولهم: **(قد يُبْلَغ الخَضْمُ بالقَضْم)**(٧٩)، والخَضْم: الأكل بجميع الفم، أو بأقصى الأضراس، وقيل: هو خاصٌّ بالشيء الرطب كالقِثّاء، والقضم: الأكل بأطراف الأسنان، وقيل: القضم لأكل اليابس(٨٠).

وليس ثَمّ علاقة مباشرة بين هذا المثل و(مكة)، ولكن بعض كتب الأمثال تذكر في شرح المثل حكاية موجزة مفادها أن أعرابياً دخل على ابن عم له بمكة، فقال: إنّ هذه بلاد مقضم وليست بلاد مخضم، وسواء عنى الأعرابي بالخضم والقضم، أكل الرطب واليابس، أو الأكل بجميع الفم أو بأطراف الأسنان، فإنه كان يعبر عن تلك الهوّة الحضارية التي تفصل بين مجتمع مكة المتحضر، ومجتمع البادية الفقير الخشن، إما في نوع الأطعمة التي يتناولونها، أو في طريقة تناولها.

وتعد مجالس اللهو والغناء واحدة من السمات البارزة لمجتمع الحواضر، وقد مر بنا – في المبحث السابق– ذكر أربعة أمثال متعلقة بـ(الجرادتين)، وهي قولهم: **(تَرَكْتُهُ تُغَنِّيه الْجَرَادَتَانِ)**(٨١)، و**(ظَلَّتِ اليَوْمَ تُلْهِيكَ الْجَرَادَتَانِ)**(٨٢) و**(صَارَ حَدِيْثَ الجَرادَتَيْنِ)**(٨٣)، و**(أَلْحَنُ من الجَرادَتَيْنِ)**(٨٤). وكان السبب في ذكر هذه الأمثال –في المبحث السابق– هو علاقتها بوفد عاد الذين جاؤوا يستسقون لقومهم في مكة، وهو ما رأينا فيه شاهداً على تقديس الجاهليين وتعظيمهم بلد الله الحرام وبيته العتيق، وفي هذا المبحث سنتأمل في صيغ الأمثال نفسها، التي سنجدها تتضمن الألفاظ الآتية: (تغنيه)، و(حديث)، و(ألحن)، و(تلهيك)، وجميعها تنتمي إلى حقل اللهو.

وقد سبقت الإشارة إلى أن أكثر كتب الأمثال تذكر أن (الجرادتين) هما قينتا معاوية بن بكر، زعيم العماليق، الذين كانوا يسكنون مكة في الجاهلية الأولى، ولا يبتعد أبو هلال العسكري بـ(الجرادتين) عن مجتمع مكة، عندما يذكر أنهما جاريتان لعبد الله بن جُدعان(٨٥)، وفي ذلك شاهدٌ على شيوع الغناء ومجالس اللهو في مجتمع (مكة) منذ أزمنة بعيدة، وهو ما يقدم دليلاً آخر على أن تحضر (مكة) يضرب أطنابه في أعماق التاريخ.

ومما يتصل بجانب اللهو شيوع الحانات ومجالس الشراب؛ ولعل في قولهم في سبب شهرة عبد الله بن جُدعان بـ(حاسي الذهب) إنه كان (يشرب) في إناء من الذهب، ما يدل على مجالس شرب الخمرة، وقد ذكر في شرح المثل المشهور: **(أَحْمَقُ مِنْ أَبِي غَبْشَانَ)**(٨٦) ، أن أبا غبشان المذكور هو رجل من خزاعة، وَاسْمهُ: سُلَيْمٌ، كانت إليه سدانة الكعبة، وكان سكِّيراً فأعوزه في بعض الأيام ما يأخذ به الخمر، فباع مفتاح البيت بزقٍّ خمرٍ، فاشتراه قصي بن كلاب، وقيل: باعه ببعير وزق خمر، فصار في المثل: **(أخسر من صفقة أبي غبشان)**(٨٧). فكانت هذه الحادثة سبباً في هجاء خزاعة، فقال بعض الشعراء(٨٨):

باعتْ خزاعة بيت الله إذ سكرتْ بزقِّ خمرٍ فبئست صفقة البادي
باعت سدانتها للبيت وانصـرفت عن المقـام بظـل البيت والوادي

وقال آخر:

إذا افتخرت خزاعــة في قديم وجدنا فخرها شرب الخمور
وباعت قبـلة الرحمـن جهــلًا بـزق بئس مفتخـر الفخـور

وقالت حُبَّى بنت حليل زوجة قصي حينئذ في ذلك:

أبو غبشان أظلمُ من قُصَيٍّ وأظلـم من بَني فِهـرٍ خـزاعهْ
فلا تلحوا قصيًّا إذ شـــراه ولومــوا شيخكم إذ كان باعهْ

وإذا كان بعض كتب الأمثال يشير إلى أن هذه الحادثة جرت في مجلس شراب في الطائف، فإن ذلك لا يعني أن مكة تخلو من مجالس اللهو والشراب، بل على العكس، قد يكون الأمر أكثر وأوسع في (مكة)، لاسيما إذا تصوّرنا أن المدينة كلما اتسعتْ دوائر الشر والخير فيها، بل نجد في بعض الدراسات التاريخية إشارات صريحة إلى انكباب بعض شباب مكة على شرب الخمرة في الجاهلية(٨٩).

الخاتمة

بيّن البحث في صفحاته السابقة أبرز الأمثال العربية التي اتصلت بـ(مكة) ومجتمعها، وقد جرتْ دراسة هذه الأمثال، دراسة وصفية تحليلية، في ثلاثة مباحث؛ وذلك تبعاً لأبرز الدلالات التي تتجلى من العلاقة بين المثل والمكان.

فاتضح من المبحث الأول أن ثمةّ عدداً من الأمثال احتفت بـ(مكة)، إما عن طريق الإشارة إلى طبيعتها الجغرافية، أو عن طريق الإشارة إلى الوقائع الحربية التي وقعت في أرضها أو شارك أهلها فيها، فإذا كانت الأمثال المتعلقة بالجانب الجغرافي تكاد تتفق في دلالتها على تفرد مكة بطبيعة قاسية ومعقدة، فإن الطائفة الأخرى من الأمثال تؤكد أن مكة، مع تحضّرها ومكانتها الدينية، لم تكن بعيدةً عما يجري حولها من الصراعات والحروب، في الجاهلية والإسلام.

أما الأمثال التي درسها المبحث الثاني فقد أظهرت المكانة الدينية لـ(مكة) منذ الجاهلية؛ وذلك إما بالتلميح إلى قداستها بوصفها بلد الله الحرام، أو عن طريق تعظيم كعبتها المشرّفة، وقد ترد دلالة التعظيم في الحوادث التي ذكرت فيها الأمثال؛ كالأمثال التي أفرزتها قصة وفد عاد الذين جاؤوا إلى مكة ليستسقوا لقومهم.

ومن الوقوف على أمثال المبحث الثالث اتضح أن مكة كانت مثالاً بارزاً لمجتمعات الجزيرة العربية المتحضرة في الجاهلية، قياساً بغلبة نمط الحياة البدوية وعدم الاستقرار على أكثر التجمعات القبلية فيها، وقد تبدّى ذلك عن طريق الإشارة إلى تفنن بعض أهل مكة في مطاعمهم ومشاربهم وزينتهم، فضلاً عن التلميح إلى شيوع مجالس اللهو والغناء فيها.

الهوامش

(١) المقدسي، المطهر بن طاهر (ت نحو٣٥٥هـ)، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.ت.، ٤/٨١-٨٢

(٢) ينظر: ابن الضياء، أبو البقاء محمد بن أحمد بن محمد المكي الحنفي (ت٨٥٤هـ)، تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق: علاء إبراهيم وأيمن نصر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ١٩

(٣) ينظر: ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الأندلسي (ت٦١٤هـ)، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، د.ت.، ٥٩-١٦٠

(٤) ينظر: ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي (ت٧٧٩هـ)، رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الخيرية بمصر، ط١، ١٣٢٢هـ، ٩٥-١٠٨

(٥) قطامش، الدكتور عبد المجيد، الأمثال العربية- دراسة تاريخية تحليلية، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ٢٤٩

(٦) أبو علي، د. محمد توفيق، الأمثال العربية والعصر الجاهلي-دراسة تحليلية، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ٦١

(٧) اليوسي، الحسن (ت١٣٨٠هـ)، زهر الأكم في الأمثال والحكم، حققه: الدكتور محمد حجي والدكتور محمد خضر، دار الثقافة، الدار البيضاء (المغرب)، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١، ١/١٣٩

(٨) ينظر: الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت نحو٢٥٠هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، دراسة وتحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، د.ت، ٢/٢٦٤-٣٠٤. الفاسي، تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي المكي الحسني (ت٨٣٢هـ)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ١/٢٥-٣٥

(٩) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، ١/ ١٤٤.

(١٠) ينظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ٥/١٧٤-١٧٥

(١١) نفسه: ٥/١٧٥

(١٢) الميداني: ٢/٣٩٥

(١٣) الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي (ت٢٧٢هـ)، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٧٣/٤

(١٤) الميداني: ٧٨/١

(١٥)العسكري، أبو هلال (ت بعد٣٩٥)، جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م، ١١٠/٢، الميداني: ٢/ ٨٧، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م، ٢٦٥/١

(١٦) اللطيمة: العير تحمل الطيب وبز التجار. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمَّد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر: بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. (مادة: لطم)

(١٧) سمي رحَّالاً لأنه كان وفّادا على الملوك. الزمخشري: ٢٦٦/١

(١٨) الميداني: ٨٧/٢

(١٩) الضّبّي، المفضّل بن سلمة بن عاصم (ت٢٩١هـ)، الفاخر في الأمثال، اعتنى به ووضع حواشيه: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١١م، ١٨٨، العسكري: ٣٩٩/٢، الميداني: ٢٢١/٢، الزمخشري: ٢٦٤/٢.

(٢٠) الضّبّي: ١٨٨.

(٢١) ينظر: ابن هشام، أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، (ت ٢١٣هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، ١/ ٢٤٠. المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ)، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ٥/ ٣٤٨

(٢٢) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)، جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٠٠م، ١١١

(٢٣) اليوسي: ١٨٧/١

(٢٤) الميداني: ٣٩٥/٢

(٢٥) ينظر: الفاكهي: ١٧٣/٤

(٢٦) ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت٢٢٤هـ)، الأمثال، حققه وعلق عليه وقدّم له: الدكتور عبدالمجيد قطامش، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ٣٥٥. البكري، أبو عبيد (ت٤٨٧هـ)، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: إحسان عباس، ط١، ١٩٧١م، ٤٨٥. الهاشمى، أبو الخير زيد بن عبد اللّه بن رفاعة (ت٣٧٣هـ)، الأمثال، تحقيق: الدكتور علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ١١٢. الميداني: ٩٣/١. الزمخشري: ١٧/٢

(٢٧) العسكري: ٤٤٤/١، اليوسي: ٢٤١/٢

(٢٨) الميداني: ٣٨١/١، اليوسي: ٢٤٢/٢

(٢٩) الزمخشري: ١٨٤/١

(٣٠) السدوسي، أبو فيد مؤرج بن عمرو (ت١٩٥هـ)، الأمثال، حققه وقدّم له ووضع فهارسه: الدكتور رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣م، ٤٩

(٣١) الميداني: ٩٣/١، اليوسي: ٢٤٢/٢

(٣٢) زهير بن أبي سلمى، الديوان، اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ٧٦

(٣٣) من ذلك: يَوْمُ الفِجَار: وقد ذكر أنه ليس يوماً واحداً، بل هي "أربعة أَفْجِرَة: الأَوَّل بين كِنَانَة وعَجُوز هَوَازن، والثاني بين قُرَيش وكِنانة، والثالث بين كِنانة وبني نَصْر بن معاوية، ولم يكن فيه كبيرُ قتالٍ، والرابع وهو الأَكبر بين قريش وهَوَازن..."، ويَوْمُ نَخْلَةَ: وهو يوم من أيام الفِجَار، وهو موضع بين مكة والطائف. ويَوْمُ شَمْطَةَ: وهو أيضاً من أيام الفِجَار، وكان بين بني هاشم وبين عبد شمس، ويَوْم عُكَاظَ: وهو أيضاً من أيام الفِجَار وعُكَاظ : اسم ماء وهو سوق من أسواق العرب بناحية مكة كانوا يجتمعون بها في كل سنة ويقيمون بها شهراً ويتبايعون ويتناشدون. ويذكر كذلك (يَوْم العَبْلاَء)، و(يَوْم الحُرَيْرَةِ)، و(يَوْم رَحْرَحَانَ)، و(يَوْم اللّهابِةِ)، و(يَوْم الفَتْحِ)، وغيرها. ينظر، لمعرفة تفاصيل هذه الأيام وغيرها: الميداني: ٤٣٠/٢-٤٤٤

(٣٤) الميداني: ٨٧/١، الزمخشري: ٨/١، اليوسي: ٧٩/١

(٣٥) العسكري: ١٩٩/١، الميداني: ٨٧/١ الزمخشري: ٩/١، اليوسي: ٨٣/١

(٣٦)الميداني: ٨٧/١، الزمخشري: ٩/١.

(٣٧) الميداني: ٨٧/١

(٣٨) هو عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهميّ، من ملوك قحطان في الحجاز، في العصر الجاهلي القديم. تولى مكة بعد خروج أبيه منها، وكان ملكه ضعيفا، وهو تابع لأصحاب اليمن من بني يعرب بن

قحطان، ولم تطل مدته. مات بمكة، ولم يذكر زمن وفاته. الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م، ٥/ ٧٥

(٣٩) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد القرشي (ت ٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ، ١٦/ ٢٥. اليوسي: ٨٣/١

(٤٠) الميداني: ١٧١/٢

(٤١) ينظر: ابن كثير، الإمام أبو الفداء إسماعيل (ت٧٤٧هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧١م، ٢٨١/١-٢٨٢. الحلبي، علي بن برهان الدين (ت١٠٤٤هـ)، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ، ٢٧٩/١-٢٨١.

(٤٢) الخوارزمى، أبو بكر محمد بن العباس (ت٣٨٣هـ)، الأمثال المولدة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٤هـ، ١١١

(٤٣) نفسه: ١٠٨

(٤٤) الميداني: ٢/ ١٧١

(٤٥) ابن سلام: ٢٣٢، البكري: ٣٣٥، الضّبّي: ١٣٥، الهاشمي: ١٣٥، العسكري: ٣٢٦/٢، الميداني: ٢٣١/١، الزمخشري: ٧٣/٢، اليوسي: ٦٩/١

(٤٦) العسكري: ٣٢٦/٢، الميداني: ٣٥٧/٢

(٤٧) ابن منظور: (مادة: قرط)

(٤٨) البكري: ٣٣٥، الضّبّي: ١٣٥، العسكري: ٢/ ٣٢٦، الميداني: ٢٣١/١. ويقال: هي مارية بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة بن عوف بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو المعروف بمزيقياء بن عامر. البكري: ٣٣٥، اليوسي: ٦٩/١

(٤٩) الميداني: ٢٣١/١

(٥٠) البرقوقي، عبدالرحمن، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م، ٣٠٩

(٥١) ينظر: أبو علي: ص٢٩٣

(٥٢) الميداني: ١٣١/١

(٥٣) الهاشمي: ١٧٠، الزمخشري: ١٥٤/٢

(٥٤) الميداني: ١٣١/١. هينم: من الهينمة، وهي الكلام الخفي.

(٥٥) الضّبّي: ١١٧، الميداني: ٢٥٦/٢

(٥٦) العسكري: ٢/٢٢٤، الميداني: ٢/٢٥٦

(٥٧) ابن سلام: ٢٢٧، الهاشمي: ٨٨، العسكري: ١/ ٥١٣، الميداني: ١/ ٣٤٣، الزمخشري: ٢/ ٣٢٥. اليوسي: ٣/ ١٦٨

(٥٨) الزمخشري: ٢/ ٣٢٥

(٥٩) الميداني: ٢/ ٣٢٥

(٦٠) الضّبّي: ١١٧

(٦١) أي اتَّفَق حصولُه بمكة فحج من غير رغبة منه. ابن سلام: ٩٦، الهاشمي: ص٢٣٠، العسكري: ٢/٢٠٤، الميداني: ٢/١٩٧، الزمخشري: ٢/ ٢٧٩.

(٦٢) أي خاليا مثل نفر النّاس من حجّهم. ابن سلام: ٣٣٩، الهاشمي: ص١١٦، الميداني: ١/١٢١

(٦٣) يضرب للذليل المستضعف. الضّبّي: ١٩٨، الميداني: ٢/١٩، الزمخشري: ٢/ ٣٩٨.

(٦٤) أى نصف النهار والصكة الضربة وعُمَي اسم رجل من العماليق. ابن سلام: ٣٧٨، البكري: ١/٥٠٨، الهاشمي: ٢٢٢، الميداني: ٢/ ١٨٢، الزمخشري: ٢/ ٢٨٧، اليوسي: ١/٦٢

(٦٥) ينظر: أبو علي: ٢٨٨-٢٩٦، وفيه مبحث خاص بعنوان (صورة الحج الجاهلي في كتب الأمثال)

(٦٦) الأسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف بمصر، ط٧، ١٩٨٨م، ٥

(٦٧) ابن العبري، أبو الفرج (ت٦٨٥هـ)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م، ٩٣

(٦٨) مهران، محمد بيومى، دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط٢، د.ت.، ٣٤٩

(٦٩) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- السعودية، ط٢، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص١٣٩، وفي التفسير نفسه (ص٤٨٣) عند قوله تعالى: ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (الشورى: ٧): "لتنذر أهل (مكة) ومن حولها من سائر الناس".

(٧٠) العسكري: ١/٣٣٥، الميداني: ١/١٨٨، الزمخشري: ١/٥٢

(٧١) هو سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، أبو أحيحة: من سادات أمية في الجاهلية، يقال له (ذو العصابة) و(ذو العمامة) كناية عن السيادة. الزركلي: ٣/ ٩٦

(٧٢) الميداني: ١/١٨٨

(٧٣) السهيلي: ٣/ ١٢٥

(٧٤) العسكري: ٢/١٣٣، الميداني: ٢/١٢٧، الزمخشري: ١/٢٨١

(٧٥) هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، وُصف بسيد قريش، وكان مِن الكرماء الأجواد فِي الجاهلية. ينظر: الأندلسي، ابن سعيد (ت ٦٨٥هـ)، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق: الدكتور نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، ط١، ١٩٨٢م، ٣٥٣-٣٥٤. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ٣/ ٢٦٥

(٧٦) ينظر: نشوة الطرب: ٣٥٤.

(٧٧) الزمخشري: ٢٨١/١. والفالوذ: من الحَلْوَاءِ هو الذي يؤكل، يسوَّى من لُبِّ الحنطة فارسي معرب. لسان العرب (مادة: فلذ)

(٧٨) جواد علي، الدكتور، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ٦/٧

(٧٩) ابن سلام: ٢٣٦، البكري: ٣٤٢، الهاشمي: ١٨٦، العسكري: ٩٢/٢، الميداني: ٩٣/٢، الزمخشري: ١٩٤/٢، اليوسي: ٢٠١/١

(٨٠) ابن منظور: (مادتا: خضم وقضم)

(٨١) الميداني: ١٣١/١

(٨٢) الهاشمي: ١٧٠، الزمخشري: ١٥٤/٢

(٨٣) الضّبّيِّ: ١١٧، الميداني: ٢٥٦/٢

(٨٤) العسكري: ٢٢٤/٢، الميداني: ٢٥٦/٢

(٨٥) العسكري: ٢٢٤/٢

(٨٦) ويقال: أندم من أبي غبشان، وأخسر من أبي غبشان، وأخسر صفقةً من أبي غبشان، وألهف من أبي غبشان. الهاشمي: ١٤. العسكري: ٣٨٧/١، ٤٣٢، ٢٢٣/٢. الميداني: ٢١٦/١، ٢٥٤/٢، ٣٥٦، الزمخشري: ٧٢/١، ٣٥٦، ٣٨٦، اليوسي: ٢/ ١٣٢، ١٩١.

(٨٧) ينظر، البغدادي، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو (ت ٢٤٥هـ)، المنمق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ٢٨٧. السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت ٥٨١هـ)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ٢/ ٣٢

(٨٨) تنظر هذه النصوص الشعرية مع اختلاف في بعض الألفاظ والعبارات في: الأندلسي: ٢١٤-٢١٥. الحلي، أبو البقاء هبة الله محمد بن نما (ت: ق ٦هـ)، المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات، وصالح موسى درادكة، مكتبة الرسالة الحديثة، عمَّان، ط١، ١٩٨٤م، ٣١٩

(٨٩) ينظر -مثلاً-: جواد علي: ٢٥٣/٨

المصادر والمراجع

١- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي (ت٧٧٩هـ):
- رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الخيرية بمصر، ط١، ١٣٢٢هـ.

٢- ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الأندلسي (ت٦١٤هـ):
- رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، د.ت.

٣- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ):
- جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، تحقيق: إحسان عباس، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٠٠م.

٤- ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت٢٢٤هـ):
- الأمثال، حققه وعلق عليه وقدّم له: الدكتور عبدالمجيد قطامش، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٥- ابن الضياء، أبو البقاء محمد بن أحمد بن محمد المكي الحنفي (ت٨٥٤هـ):
- تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق: علاء إبراهيم وأيمن نصر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

٦- ابن العبري، أبو الفرج (ت٦٨٥هـ):
- تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م.

٧- ابن كثير، الإمام أبو الفداء إسماعيل (ت٧٤٧هـ):
- البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م
- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧١م.

٨- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمَّد بن مكرم (ت٧١١هـ):
- لسان العرب، دار صادر: بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٩- ابن هشام، أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، (ت ٢١٣هـ):
- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م

١٠- أبو علي، د. محمد توفيق:
- الأمثال العربية والعصر الجاهلي-دراسة تحليلية، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.
١١- الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت نحو ٢٥٠هـ):
- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، دراسة وتحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، د.ت.
١٢- الأسد، ناصر الدين:
- مصادر الشعر الجاهلي، دار المعارف بمصر، ط٧، ١٩٨٨م.
١٣- الأندلسي، ابن سعيد (ت ٦٨٥هـ):
- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق: الدكتور نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، ط١، ١٩٨٢م.
١٤- البرقوقي، عبدالرحمن:
- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م.
١٥- البغدادي، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو (ت ٢٤٥هـ):
- المنمق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م
١٦- البكري، أبو عبيد (ت٤٨٧هـ):
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: إحسان عباس، ط١، ١٩٧١م.
١٧- جواد علي، الدكتور:
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م
١٨- الحلبي، علي بن برهان الدين (ت١٠٤٤هـ):
- السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ.
١٩- الحلي، أبو البقاء هبة الله محمد بن نما (ت: ق ٦هـ):
- المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات، وصالح موسى درادكة، مكتبة الرسالة الحديثة، عمَّان، ط١، ١٩٨٤م
٢٠- الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ):
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٢١- الخوارزمي، أبو بكر محمد بن العباس (ت٣٨٣هـ):
- الأمثال المولدة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٤هـ.
٢٢- الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي:
- الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
٢٣- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ):
- المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
٢٤- زهير بن أبي سلمى:
- الديوان، اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م
٢٥- السدوسي، أبو فيد مؤرج بن عمرو (ت١٩٥هـ):
- الأمثال، حققه وقدّم له ووضع فهارسه: الدكتور رمضان عبد التواب، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣م.
٢٦- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت ٥٨١هـ):
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ
٢٧- الضّبّي، المفضّل بن سلمة بن عاصم (ت٢٩١هـ):
- الفاخر في الأمثال، اعتنى به ووضع حواشيه: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١١م.
٢٨- العسكري، أبو هلال (ت بعد٣٩٥):
- جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م.
٢٩- الفاسي، تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي المكي الحسني (ت٨٣٢هـ):
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٣٠- الفاكهي، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي (ت٢٧٢هـ):
- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.

٣١- قطامش، الدكتور عبد المجيد:
- الأمثال العربية-دراسة تاريخية تحليلية، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٣٢- المقدسي، المطهر بن طاهر (ت نحو٣٥٥هـ):
- البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.ت.
٣٣- المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ):
- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
٣٤- مهران، محمد بيومى:
- دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط٢، د.ت.
٣٥- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت٥١٨هـ):
- مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.
٣٦- نخبة من أساتذة التفسير:
- التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف-السعودية، ط٢، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
٣٧- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد القرشي (ت ٧٣٣هـ):
- نهاية الأرب في فنون الأدب دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ
٣٨- الهاشمي، أبو الخير زيد بن عبد اللّه بن رفاعة (ت٣٧٣هـ):
- الأمثال، تحقيق: الدكتور علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
٣٩- اليوسي، الحسن (ت١٣٨٠هـ):
- زهر الأكم في الأمثال والحكم، حققه: الدكتور محمد حجي والدكتور محمد خضر، دار الثقافة، الدار البيضاء (المغرب)، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١.